تفسير إبن كثير

إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ

هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها ، فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها; فعلم وقت الساعة لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب ، (لا يجليها لوقتها إلا هو) [الأعراف : 187] ، وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله ، ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه . وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه [الله] تعالى سواه ، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى ، أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك ، ومن شاء الله من خلقه . وكذلك لا تدري نفس ماذا تكسب غدا في دنياها وأخراها ، (وما تدري نفس بأي أرض تموت) في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان ، لا علم لأحد بذلك . وهذه شبيهة بقوله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) الآية [الأنعام : 59] . وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس : مفاتيح الغيب .قال الإمام أحمد : حدثنا زيد بن الحباب ، حدثني حسين بن واقد ،

حدثني عبد االله بن بريدة ، سمعت أبي - بريدة - يقول : سمعت رسول االله صلى االله عليه وسلم يقول : " خمس لا يعلمهن إلا االله عز وجل : (إن االله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن االله عليم خبير) .هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجوه .حديث ابن عمر : قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان ، عن عبد االله بن دينار ، عن ابن عمر قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا االله : (إن االله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن االله عليم خبير) .انفرد بإخراجه البخاري ، فرواه في " كتاب الاستسقاء " من صحيحه ، عن محمد بن يوسف الفريابي ، عن سفيان بن سعيد الثوري ، به . ورواه في التفسير من وجه آخر فقال :حدثنا يحيى بن سليمان ، حدثنا ابن وهب ، حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبد االله بن عمر : أن أباه حدثه أن عبد االله بن عمر قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " مفاتيح الغيب خمس " . ثم قرأ : (إن االله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) انفرد به أيضا

.ورواه الإمام أحمد عن غندر ، عن شعبة ، عن عمر بن محمد ; أنه سمع أباه يحدث ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى االله عليه وسلم قال : " أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس : (إن االله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن االله عليم خبير) .[حديث ابن مسعود ، رضي االله عنه : قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ، عن شعبة ، حدثني عمرو بن مرة ، عن عبد االله بن سلمة قال : قال عبد االله : أوتي نبيكم صلى االله عليه وسلم مفاتيح كل شيء غير خمس : (إن االله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن االله عليم خبير)] .وكذا رواه عن محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عمرو بن مرة ، به . وزاد في آخره : قال : قلت له : أنت سمعته من عبد االله ؟ قال : نعم . أكثر من خمسين مرة .ورواه أيضا عن وكيع ، عن مسعر ، عن عمرو بن مرة به .وهذا إسناد حسن على شرط أصحاب السنن ولم يخرجوه .حديث أبي هريرة : قال البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا إسحاق ، عن جرير ، عن أبي حيان ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة ، رضي االله عنه ; أن رسول االله

صلى االله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس ، إذ أتاه رجل يمشي ، فقال : يا رسول االله ، ما الإيمان ؟ قال : " الإيمان : أن تؤمن باالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه ، وتؤمن بالبعث الآخر " . قال : يا رسول االله ، ما الإسلام ؟ قال : " الإسلام : أن تعبد االله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان " . فقال : يا رسول االله ، ما الإحسان ؟ قال : " الإحسان : أن تعبد االله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " . قال : يا رسول االله ، متى الساعة ؟ قال : " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ، ولكن سأحدثك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربتها ، فذاك من أشراطها . وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس ، فذاك من أشراطها ، في خمس لا يعلمهن إلا االله . (إن االله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) ، ثم انصرف الرجل فقال : " ردوه علي " . فأخذوا ليردوه ، فلم يروا شيئا ، فقال : " هذا جبريل ، جاء ليعلم الناس دينهم " .ورواه البخاري أيضا في " كتاب الإيمان " ، ومسلم من طرق ، عن أبي حيان ، به . وقد تكلمنا عليه في أول شرح البخاري . وذكرنا ثم حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في ذلك بطوله ، وهو من أفراد مسلم .حديث ابن عباس : قال الإمام أحمد : حدثنا أبو النضر ،

حدثنا عبد الحميد ، حدثنا شهر ، حدثنا عبد االله بن عباس ، رضي االله عنهما ، قال : جلس رسول االله صلى االله عليه وسلم مجلسا له ، فأتاه جبريل فجلس بين يدي رسول االله صلى االله عليه وسلم واضعا كفيه على ركبتي النبي صلى االله عليه وسلم ، فقال : يا رسول االله ، [حدثني] ما الإسلام ؟ قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : الإسلام أن تسلم وجهك الله عز وجل ، وتشهد أن لا إله إلا االله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله " . قال : فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت ؟ قال : " إذا فعلت ذلك فقد أسلمت " . قال : يا رسول االله ، فحدثني ما الإيمان ؟ قال : " الإيمان : أن تؤمن باالله ، واليوم الآخر ، والملائكة ، والكتاب ، والنبيين ، وتؤمن بالموت ، وبالحياة بعد الموت ، وتؤمن بالجنة والنار ، والحساب والميزان ، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره " . قال : فإذا فعلت ذلك فقد آمنت ؟ قال : " إذا فعلت ذلك فقد آمنت " . قال : يا رسول االله ، حدثني ما الإحسان ؟ قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " الإحسان أن تعمل الله كأنك تراه ، فإن كنت لا تراه فإنه يراك " . قال : يا رسول االله ، فحدثني متى الساعة ؟ قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " سبحان االله . في خمس لا يعلمهن إلا هو : (إن االله عنده علم

الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن االله عليم خبير) ، ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك ؟ " . قال : أجل ، يا رسول االله ، فحدثني . قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " إذا رأيت الأمة ولدت ربتها - أو : ربها - ورأيت أصحاب الشاء يتطاولون في البنيان ، ورأيت الحفاة الجياع العالة [كانوا رؤوس الناس ، فذلك من معالم الساعة وأشراطها " . قال : يا رسول االله ، ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة ؟ قال : " العرب "]

.حديث غريب ، ولم يخرجوه .حديث رجل من بني عامر : روى الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن منصور ، عن ربعي بن حراش ، عن رجل من بني عامر ; أنه استأذن على النبي صلى االله عليه وسلم فقال : أألج ؟ فقال النبي صلى االله عليه وسلم لخادمه : " اخرجي إليه ، فإنه لا يحسن الاستئذان فقولي له : فليقل : " السلام عليكم ، أأدخل ؟ " قال : فسمعته يقول ذلك ، فقلت : السلام عليكم ، أأدخل ؟ فأذن ، فدخلت ، فقلت : بم أتيتنا به ؟ قال : " لم آتكم إلا بخير ، أتيتكم أن تعبدوا االله وحده لا شريك له ، وأن تدعوا اللات والعزى ، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات; وأن

تصوموا من السنة شهرا ، وأن تحجوا البيت ، وأن تأخذوا الزكاة من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم " . قال : فقال : فهل بقي من العلم شيء لا تعلمه ؟ قال : " قد علم الله عز وجل خيرا ، وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عز وجل : الخمس : (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) . وهذا إسناد صحيح .وقال ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : جاء رجل من أهل البادية فقال : إن امرأتي حبلى ، فأخبرني ما تلد ؟ وبلادنا جدبة ، فأخبرني متى ينزل الغيث ؟ وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت ؟ فأنزل الله عز وجل : (إن الله عنده علم الساعة [وينزل الغيث]) ، إلى قوله : (إن الله عليم خبير) . قال مجاهد : وهي مفاتيح الغيب التي قال الله تعالى : (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) [الأنعام : 59] . رواه ابن أبي حاتم ، وابن جرير .وقال الشعبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، أنها قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) .وقوله : (وما تدري نفس بأي أرض تموت) : قال قتادة : أشياء استأثر الله بهن ، فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ،

ولا نبيا مرسلا (إن االله عنده علم الساعة) ، فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة ، في أي سنة أو في أي شهر ، أو ليل أو نهار ، (وينزل الغيث) ، فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ، ليلا أو نهارا ، (ويعلم ما في الأرحام) ، فلا يعلم أحد ما في الأرحام ، أذكر أم أنثى ، أحمر أو أسود ، وما هو ، (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) ، أخير أم شر ، ولا تدري يا ابن آدم متى تموت ؟ لعلك الميت غدا ، لعلك المصاب غدا ، (وما تدري نفس بأي أرض تموت) ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض ، أفي بحر أم بر ، أو سهل أو جبل ؟وقد جاء في الحديث : " إذا أراد االله قبض عبد بأرض ، جعل له إليها حاجة " ، فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ، في مسند أسامة بن زيد :حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، أخبرنا عبد الرزاق ، أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي المليح ، عن أسامة بن زيد قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " ما جعل االله ميتة عبد بأرض إلا جعل له فيها حاجة " .وقال عبد االله بن الإمام أحمد : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا أبو داود الحفري ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن مطر بن عكامس قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : إذا قضى االله ميتة عبد بأرض ،

جعل له إليها حاجة " .وهكذا رواه الترمذي في " القدر " ، من حديث سفيان الثوري ، به . ثم قال : " حسن غريب ، ولا يعرف لمطر عن النبي صلى االله عليه وسلم غير هذا الحديث . وقد رواه أبو داود في " المراسيل " ، فاالله أعلم .وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل ، حدثنا أيوب ، عن أبي المليح بن أسامة عن أبي عزة قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " إذا أراد االله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها - أو قال : بها - حاجة " .وأبو عزة هذا هو : يسار بن عبد االله ، ويقال : ابن عبد الهذلي .وأخرجه الترمذي من حديث إسماعيل [بن إبراهيم - وهو ابن علية ، وقال : صحيح .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن عصام الأصفهاني ، حدثنا المؤمل بن إسماعيل] ، حدثنا عبيد االله بن أبي حميد ، عن أبي المليح ، عن أبي عزة الهذلي قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " إذا أراد االله قبض عبد بأرض ، جعل له إليها حاجة ، فلم ينته حتى يقدمها " . ثم قرأ رسول االله صلى االله عليه وسلم : (إن االله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن االله عليم خبير) .حديث آخر : قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا أحمد بن ثابت الجحدري

ومحمد بن يحيى القطعي قالا حدثنا عمر بن علي ، حدثنا إسماعيل ، عن قيس ، عن عبد االله قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " إذا أراد االله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة " . ثم قال البزار : وهذا الحديث لا نعلم أحدا يرفعه إلا عمر بن علي المقدمي . وقال ابن أبي الدنيا : حدثني سليمان بن أبي مسيح قال : أنشدني محمد بن الحكم لأعشى همدان :فما تزود مما كان يجمعه سوى حنوط غداة البين مع خرق وغير نفحة أعواد تشب لهوقل ذلك من زاد لمنطلق! لا تأسين على شيء فكل فتإلى منيته سيار في عنق وكل من ظن أن الموت يخطئهمعلل بأعاليل من الحمق بأيما بلدة تقدر منيتهإن لا يسير إليها طائعا يسقأورده الحافظ ابن عساكر ، رحمه االله ، في ترجمة عبد الرحمن بن عبد االله بن الحارث ، وهو أعشى همدان ، وكان الشعبي زوج أخته ، وهو مزوج بأخت الشعبي أيضا ، وقد كان ممن طلب العلم وتفقه ، ثم عدل إلى صناعة الشعر فعرف به .وقد رواه ابن ماجه عن أحمد بن ثابت وعمر بن شبة ، كلاهما عن عمر بن علي مرفوعا : " إذا كان أجل أحدكم بأرض أوثبته إليها حاجة ، فإذا بلغ أقصى أثره ، قبضه االله عز وجل ، فتقول الأرض يوم القيامة : رب ، هذا ما أودعتني " .قال الطبراني :

حدثنا إسحاق بن إبراهيم ، حدثنا عبد الرزاق ، حدثنا معمر ، عن أيوب ، عن أبي المليح ، عن أسامة أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " ما جعل االله منية عبد بأرض ، إلا جعل له إليها حاجة " .[آخر تفسير سورة " لقمان " والحمد الله رب العالمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل]